

رواية

ليلى الشربينى



ترانزيت

روايـــة



ترانزيت (رواية)

المؤلف : ليلى الشربينى

التصميم الداخلى : محمد الغليونى

الطبعة الأولى : يوليو ١٩٩٧

الجمع والصف الالكترونى : مركز الحضارة العربية

الناشر : مركز الحضارة العربية

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع : ٩٧/٧٤٠٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-291-028-4

ليلى الشربينى

ترانزيت



إهداء

إلى مريم ويوسف

كلمة اولى

عـرفت مـبدعـة هذه الرواية منذ ربع قـرن . عـبرت بهـدوء حـازم عن رغبتهـا فـى إتقان اللغـة العربيـة ، بعد إذ عـاشت مع الفرنسيـة طويلاً ، وظننت - أول الأمـر - أن هذه الرغـبـة أمـر طـبـيـعى لمن يريد أن يعـمل بالعلم والحياة الثقافية والعمل الوطنى العام ، وقد كان هذا شأنها .. بيد أنى فوجئت بها - بعد أشهر قليلة - تعرض على قصة قصيرة صاغتها بعربية قلقة . ولم يمض عـامان إلا وقد استقام أمرها مع اللغة ، فـصارت عربيتـهـا مبينة ، وها هنا استـقـام أمرها مع جمـاليات هذه اللغـة ، من تركـيـبات وصور ومـجـازات وتشكيـلات ، وأفـصح كل ذلك عن موهبـة فـريدة . ولم يمض عـقـدان إلا وكـان بين أيدى الناس ثلاثة كـتـب من إبداعهـا ، وها هى (ترانزيت) - كتـابهـا الإبداعى الرابع - يـصادق على كلامنا ويشهد له .

***

يكتسب المجتمع - أى مجتمع - صـفـة الحداثة، إذا نشأت به طبقة وسطى تـخلصـه من العـلاقـات الكلاسيكيـة وتحـرره من قـهـر غـيـره من المجتمعات وتقيم به المؤسسات الحديثة بما يحيط بها من قيم اجتمـاعـية جديدة وأسس قـانونية ودسـتـورية وطرائق أداء وإدارة وبدأت مصر تتـحـول من مجـتـمع كلاسيكى إلى مجتمع حديث منذ قرنين من أواخر القرن

الثامن عشر. فقد شهدت مصر فى ذاك الوقت ميلاد طبقة وسطى، أخذت فى النمو والتطور، وفى نموها وتطورها شرعت فى تحرير مصر من كافة القوى الأجنبية، وبناء أعمدة المجتمع الحديث ومؤسساته على أرضها .

انتخبت ليلى الشربينى لحظة تاريخية حرجة من عملية التحرير والبناء ، وانتخبت لهذه اللحظة أسرة متوسطة تعيش عيشة عادية هادئة، بيد أن أدوات الفن المقتدر جعلت حياة هذه الأسرة وعلاقاتها تفصح عن آفاق عملية تحول البلاد ، وما تحمله هذه العملية من نجاحات وعثرات .

الرواية جزأن ، يمثل كل منهما (ترانزيت : عبوراً) ، خاصاً . عبور الجزء الأول هو انتقال الأفراد الأحاد والأسر الصغيرة من حال إلى حال ، من الريف إلى المدينة ، من الحى الشعبى إلى الحى الجديد ، من عادات وأداءات أخذها المصريون عن الأجانب والأتراك إلى عادات جديدة. وعبور الجزء الثانى هو انتقال المجموعات البشرية التاريخية ، انتقال الشعب المصرى إلى حال الحرب (١٩٤٨ وما بعدها) ، انتقال الفلسطينيين وإخراجهم من بلادهم إلى الآفاق يحملون فى قلوبهم آمال العودة ، انتقال اليهود ودخولهم فلسطين ... الخ .

تنسج الأسرة المصرية المتوسطة ، أسرة (دويب) العبورين جميعاً فى ثوب واحد : تعيش فى الحى الجديد الذى يضم عشش الفقراء وبيوت المتوسطين وقصور الباشوات . وحولها جيران من عامة المصريين ومن اليهود المصريين ومن الأجانب ، ينضم إليهم فلسطينيون مهاجرون من

يافا . وتثمر التفاعلات مواقف وعلاقات تعكس أحوال الأفراد وأزمات الجماعات وحرج اللحظة التاريخية فى عملية تحرير الوطن المصرى وبنائه. محور هذه البنية الروائية - موقفاً وتشكيلاً - رب تلك الأسرة المصرية المتوسطة وربتها . (دويب) - الزوج - كان طالباً بكلية الحقوق، فصل لعمله السياسى الوطنى النشط ، فعمل بالشهادة المتوسطة موظفاً، وتدرج إلى وظيفة معتبرة . موظف شريف ووطنى ملتزم ، ورب أسرة مسئول ، ومثقف نهم إلى المعرفة . وفى كل ذلك يؤصل القيم والأداءات الجديدة فهو بعبارة محددة المصرى الجديد فى زمانه . و(عصمت) - الزوجة - تعكس فى ذاتها وفى علاقاتها ذاك الحلم الصاعد فى تلك الأيام ، فإن لم تستطع بذاتها المشاركة العملية المباشرة فى تحقيق الحلم ، ساندت - فى علاقاتها - من يستطيعون تحقيقه ، بخاصة زوجها وأولادها وعندما يموت زوجها تخرج غير متحرجة للنهوض بما كان ينهض به . فهى بعبارة محددة المصرية الجديدة فى زمانها .

وفى كل ذلك كانت آيات عملية التحول - يتفاعل فيها الخاص والعام والفردى والاجتماعى - ملموحة غير منكورة . وتنتهى الرواية عند لحظة عالية من لحظات هذه العملية حرب ١٩٥٦ وتفرد الكاتبة سطراً لسؤال : هل انتصرنا ؟ ولا جواب وهذا بدهى ، ذلك أن عملية التحول لا تزال دائرة . وهكذا انتهى خط التشكيل الجمالى الذى توسلت به الكاتبة إلى بنية روائية نادرة عمادها هاتان الشخصيتان اللتان ستعيشان طويلاً كما تعيش النماذج الأدبية الرفيعة .

د عبد المنعم تليمة

الجـــزء الأول

الست عصمت دويب

وقفت فى الشباك ... أسندت ذراعيها على حافته . كان الوقت ليلاً .. تركت الحجرة مظلمة حتى لا يراها أحد .. إن مرّ أحد . أخذت تنظر إلى حدائق الڤيلا المقابلة للبيت . ڤيلتان يقطنهما خواجات .. بعدهما خرابة مطلة على الشارع التالى .

***

حى الدقى ، حى جديد به بعض المساكن وأراضى ، لم تُبنَ بعد . وهو فى الواقع ، أكثر من حى ... فيه حى الباشوات ، وحى البكوات ، وحى الأفندية ، وفيه - أيضاً - الجامعة ، ووزارة الزراعة ، والمتحف ، وحديقة الأورمان . وبين وزارة الزراعة والسوق عِزَبٌ .. بها ما يسمي بالعشش .

***

كان ضوء القمر ، يبرز الأشجار كظل ينسلخ من السماء الصافية ، الفضية اللون .

فكرت في زوجها ، الذى يكبرها بعشرين عاماً ، والذى يعتكف - دائماً - في هذا الوقت ، في حجرة المكتب ، ليقرأ .

إنه أمين مكتبة بالجامعة ، هوايته الكتب ، وهى تقدّر فيه تلك الهواية ، التى تجعله قادراً على مصادقة أساتذة كبار ، والحديث معهم وكثيراً ما كانت تفتخر أمام المدام . جارتها اليهودية التى تقطن إحدى الفيلتين اللتين يطل عليهما الشباك ، بأن فلاناً أو علاناً جاء لشرب الشاى ، والحديث مع زوجها ، دويب أفندى .

***

بالبيت حجرتان للنوم ، غير حجرتها : حجرة للعيال ، ولدين وبنت ، وحجرة للمسافرين ، أهل البلد أو أفراد العائلة حين يأتون للزيارة . فهم - غالباً - ما يقضون بضعة أيام . فالزيارة ليست كزيارة الأصدقاء بضع ساعات ، والسلام عليكم .

البيت مكون من طابق واحد وبدروم . البدروم به حجرتان : حجرة للطبخ ، وحجرة ينام فيها الخدم . أما الأرض الملاصقة للبيت فهى ملكهم تنوى - يوماً - أن تبنى فيها طابقاً ، يفتح على هذا الذى يسكنون به ، ثم تؤجره ، وتدخر الإيجار لبناء طابق علوى ، من شقتين ، ثم طابق اخر، وهكذا . تحلم بالعمارة .. يكون الأولاد قد كبروا ، ومصاريفهم كثرت . ويغطى تلك المصاريف ، عائد العمارة .

العيال حبها الكبير ..

إن القاهرة أمان، والحياة فيها سهلة . فلا عجين ولا خبيز ، كما الحال فى القرية ، حقيقة إنها لم تعجن ولم تخبز يوماً لكنها كانت تشعر، أن هذا اليوم آتٍ ، إذا هى تركت بيت العائلة إلى بيت الزوجية ، فلن يوفر لها زوج شاب ، كل هذا الجيش من الخدم ، المتوفر فى بيت أبيها والموروث مع الأرض .

بيت أبيها قصر ، فقد ورث عن والده فدادين كثيرة ، لكنه أضاعها ، فى المديونية للبنك وفى قضايا ، مع أخوته .. وأيضاً ، فى العيش فوق مستوى دخله .

والدتها هانم .. فرشت البيت ، أحسن فرش .. ولديها فضة وماس ومصاغ الهوانم .

إنها لا تفعل شيئاً فى البيت . فقط .... المربى والبسكويت والكعك. وهى - أيضاً - ماهرة فى التطريز وقد علمت ابنتها ، فنون التطريز والحياكة .

***

اختارت دويب أفندى على الرغم من أنه يكبرها سناً ، حتى تعيش فى القاهرة ، وتفتح عينيها ، على الدنيا فتخرج من البيت وتعود إليه نهاراً تذهب إلى المحلات ، لشراء الأشياء ، تنتقيها بمفردها ، فقد سئمت الخروج ليلاً - فقط - مع والدتها ، لزيارة بعض هوانم القرية ، أو الذهاب إلى المنصورة ، مع الوالد والوالدة ، لشراء الكسوة ، بعد بيع

القطن ، فى الموسم ، أخواتها خابوا فى الدراسة ، ما عدا واحداً ، ما زال فى الجامعة ، لقد أحست بمدى انحدارها المادى : حين رافقت والدتها ، إلى بيت الباشا . فزوجة الباشا ، ابنة خالة والدتها وقد ذهبت إليها ، فى الدقى - أيضاً - لكن فى حى الباشوات . سراى كبيرة ، تحيط بها حديقة كبيرة جميلة ، واستقبلتهما أنيسة هانم ، فى أحد الأجنحة .

سبب الزيارة ، أن يتوسط الباشا ، لدى بعض أصدقائه الوزراء ، لتوظيف أخواتها . ودت لو طلبت الدرجة لزوجها لكنها خشيت أن يثور كبرياؤه ويوبخها . فهو يفضل الموت جوعاً ، على اللجوء إلى الباشوات والوزراء ، لنيل الدرجة . إنه رجل مبادئ . ثار على الإنجليز ، وهو طالب ، ويثور - الآن - على ذوى المناصب .. شعرت بأسى ها هو أبوها ، يستجدى عملاً لأولاده .

أما كان الأجدر به ، أن يحافظ على أمواله ، وأن يعمل شيئاً فى حياته ، غير لعب الطاولة ؟!

***

ارتفع القمر إلى منتصف السماء ، وهى ما زالت واقفة ، فى الشباك . تعبت من الوقوف .. قررت العودة إلى حجرتها والنوم . مرت على حجرة المكتب ، وهى تعبر الصالة . ما زالت الحجرة مضاءة .. إذن .. ما زال زوجها جالساً ، إلى مكتبه ، يقرأ ذهبت إلى حجرة الأولاد . لم تضىء النور . فنور الوناسة المضاءة بالطرقة، يكفى لأن تلقى نظرة على أولادها ، وهم نائمون .

ابتسمت فى رضا . تذكرت أنها لم تصلِّ العشاء . ذهبت لتتوضأ .

***

دويب أفندى ، كان جالساً يقرأ ، على ضوء الفيناز إنه يحب الأدب الإنجليزى ولا يمل القراءة فيه . يحب - أيضاً - الاطلاع على ما يريد ، فى العلم فقد استعان بأحد أساتذة الجامعة ، الذى يعمل به ، لانتقاء بعض الكتب التى تتحدث عن نظرية فرويد، لتكون بالمكتبة تحت تصرف الطلبة . وكان هو أول من قرأ هذه الكتب ، مما وثّق صلته بالأستاذ . فقد كان الأستاذ كثير الحديث، عن فرويد وكان دويب أفندى لا يمل الإصغاء إليه، والاندهاش كلما تحدث الأستاذ، عن حالة شفيت بالعلاج النفسى .

إنه الآن منبهر بشىء آخر فقد اشترى لنفسه - هذه المرة - كتاباً فى تبسيط النظرية النسبية للعامة . وقد قرأه عدة مرات . على الرغم من أنه كتاب تبسيطى ؛ محاولاً فهم ما جاء به عن الزمن . وعد نفسه بإثراء مكتبة المنزل ، بمثل ذلك الكتاب ، حتى يشب أولاده ، على حب العلم والأدب وروائع الإنجازات .

فكّر فى اللغة العربية ، وتواضع ما أنجز بها . لكن لا بأس من الاحتفاظ بأعداد مجلتى ، وتجليدها ، سنة بسنة ، فقد يستفيد منها الأولاد ..

قرب الفجر ، طوى الكتاب ، وأطفأ الفيناز ، وذهب للوضوء .



كاميليا بريوتى

فى الڤيلا ، كانت عائلة موريس بريوتى ، تغط فى النوم .

الڤيلا ، من طابق واحد .. صالة وأربع حجرات ، وفراندة كبيرة تحيط بها ، حديقة صغيرة ، بها حجرة للسفرجى .. الحديقة ملاصقة لحديقة ڤيلا الخواجة بيللى .

موريس بريوتى ، يستيقظ فى السادسة صباحاً . يأخذ حماماً ، ثم يفطر ، ويذهب إلى دكانه الصغير بالموسكى ، سيراً على الأقدام . وهو يستمتع بذلك المشوار . يعبر كوبرى بديعة ، ثم كوبرى قصر النيل ، ثم شوارع وسط البلد ، حتى ميدان الأوبرا . بعد ذلك ، يدخل فى حى العتبة ، والأحياء الشعبية ، حتى يصل إلى دكانه ، وسط دكاكين كثيرة، يملكها يهود ، أو تجار من أبناء الشعب .. كان سعيداً بحياته مع كاميليا زوجته ، وأولاده الثلاثة .

أما بيللى ، فقد كان يؤرقه قرار السفر .. إنه ذاهب إلى إيطاليا ،

مع زوجته . ليس له أولاد ، ولا أقارب فى مصر . وإن صحت الهجرة إلى فلسطين ، فسوف يذهب إلى هناك . لم يكن يعلم - بالضبط - ما الذى يؤرقه ، فى قرار السفر .. فهنا مثل هناك ... لكنه يعرف هنا ، ولا يعرف هناك . هل هو الخوف من المغامرة ؟ .. هل هو عزوف عن الاستقرار والأمان اللذين يشعر بهما هنا أم ماذا ؟

***

جوار الجزء المبنى ، من أرض دويب أفندى ، كانت خرابة تملكها ناظرة مدرسة الدقى ، وقد شرعت فى بنائها . صبوا الأساس ، وبدأ تشييد الدور الأول أمام البناية ، كوم رمل ، وكوم زلط ، وبعض شكائر الأسمنت ، يسهر جواره خفير ، أصبح صديقاً لخفير آخر ، يحرس أكواماً أخرى بعيدة ، فى نهاية الشارع على الناصية . فقد شرع الشيخ المحلاوى ، مالك العمارة ، بتعليتها دورين . فالحرب انتهت . وبدأت حركة البناء ، مع انتهاء الغلاء والأزمة الاقتصادية .

كان الخفيران ، كثيراً ما يقضيان الليل معاً ، أمام كوم الرمل الرابض، أمام بيت أبله الناظرة ، أو أمام عمارة الشيخ المحلاوى .

كان الخفيران يسهران معاً . يصنعان الشاى فى كوز يضعانه على قطع الخشب ، بعد أن يشعلا فيها النار .

يمر - أحياناً - عسكرى الدورية ، يصرخ صرخته المعتادة : ليستمر فى السير ، حتى شارع آخر .

○□○

يوم فى حياتهم

يا فتاح يا عليم .. يا رزاق يا كريم .. اصطبحنا وصبح الملك لله .

دخل ضوء النهار، من الشباك المؤدى إلى المساحة الخالية .. الشاسعة التى تعبر أكثر من شارع ، حتى الشارع العمومى المؤدى إلى كوبرى بديعة ، فالدقى لم يُبنَ بعدُ .

أخذ الأولاد فى فرك أعينهم والتمطى كما هى عادتهم، كل صباح ..

- صباح الخير يا ماما .

- صباح الخير على الحلوين .

تركوا الفراش ، الواحد بعد الآخر ، ليذهبوا إلى الحمام . غيّروا ثيابهم . دخلت إحدى الخادمات ، إلى حجرة النوم ، تنزع الفرش عن الأسِرّة للتهوية قبل أن يعد الكنس والتلميع .

كانت الخادمة الأخرى تحضر السفرة أما الثالثة فقد نزلت إلى البدروم لتأتى بالفول العائم فى السمن البلدى والبيض المقلى . كانت الست

عصمت تحرص على أن يكون فى الإفطار بيض حتى تقوى صحة الأولاد كفى أنهم لا يأكلون اللحم كثيراً . فاللحم غال منذ أيام الحرب وهى تكتفى به مرة فى الأسبوع أما باقى الأيام فهم يأكلون الخضار والأرز ، أو أحد أطباق البقول ..

انتهى الأولاد من إفطارهم ، اغتسلوا أخذوا حقائبهم وخرجوا ذاهبين إلى مدارسهم ترافقهم إحدى الخادمات .

***

انتهت الخادمة الأخرى من ترتيب حجرة الأولاد وذهبت إلى الحمام تجهزه لدويب أفندى أما الثالثة فقد نظفت السفرة وبدأت تجهز إفطار سيدها .

اتجهت الست عصمت إلى الشباك- كعادتها - كل صباح تنظر إلى أولادها الثلاثة فى زهو وهم يتجهون صوب المشتل فى آخر الشارع وتطمئن أنهم يسيرون فى استقامة يمسك أصغرهم يد الخادمة ولا يجرون هنا وهناك .

ذهبت الست عصمت لحجرة النوم لتوقظ زوجها .. لم تفتح الشباك فهو لا يحب أن يفاجأه ضوء الصباح وهو ما زال فى سريره .

انتظرت حتى ترك الحجرة وفتحت الشباك . لم يتم بعد ترتيب الحجرة. إن تنظيف الحجرة وترتيبها سيبدأ بعد خروج دويب أفندى فهو لا يحب رؤية المقشة فى الصباح ، بعد أن يفطر سيرتدى ثيابه وستمسك

له الثياب قطعة قطعة لتناوله إياها وبعد أن تنتهى مراسم اللبس ستمر بالفرشاة مرة ثانية على أكتاف الجاكتة ثم تناوله الطربوش . ستوصله حتى باب السلم لتقول له مع السلامة ولتقول له أيضاً ربنا يزيد عزك ويعلى مراتبك .

***

كاميليا بريوتى كانت مشغولة طوال الصباح ، فبعد أن ذهب الأولاد إلى المدرسة شرعت فى دخول المطبخ إنها تود إعداد كيك فمدام بيللى ستأتى بعد الظهر لتناول الشاى وربما تحدثت عن سفرها المرتقب ، إنها تخشى هذا السفر ليس فقط لأنها تعودت على وجود مدام بيللى جوارها مما يعطيها إحساساً بأنها ليست غريبة فى حى الدقى لكنها أيضاً تخشى على مدام بيللى التى ولدت فى مصر وشبت فيها ولم تسافر أبداً إلى أوروبا وهى أيضاً لم تسافر لكن أمر السفر ليس مطروحاً بالنسبة لها . فموريس بريوتى لم يفكر فى ترك مصر وهو يرى أنه مستقر هنا وأموره تسير على خير ما يرام .

***

فى الثانية ظهراً كانت عائلة دويب حول مائدة الطعام والمذياع دائر تبث منه نشرة الأخبار لم يكن أحد يستمع إليها غير دويب أفندى ، والآخرون - الأطفال وأمهم - يأكلون فى صمت حتى لا يشوشوا على النشرة .

كان دويب أفندى مغرماً بالطقوس وكانت عملية تناول الغذاء من العمليات التى أرسى لها قواعد لا يحيد عنها أحد .

على السفرة مفرش من المفارش التى اشتغلتها الست عصمت وقت تحضيرها لجهازها .

لكلٍ فوطة سفرة وكوب ماء ، لا أحد يشرب مكان أحد . طبق الشوربة يسبق باقى الأطباق ، الخضار يؤكل بالشوكة إلى آخر هذه العادات التى توارثها بعض أبناء الطبقة الراقية عن الخواجات أو عن الأتراك .

ورغم تذمر الست عصمت من هذه التقاليد إلا أنها كانت معجبة بها وتشعر أنها تنتمى عبرها لمستوى رفيع من الحياة .

***

كانت أيضاً عائلة موريس بريوتى حول مائدة الطعام ، بعض الخضار المسلوق وبعض اللحم المشوى . كانت الفوطة والشوكة والسكين أشياء عادية بالنسبة لهم منذ زمن ، خواجات لا يغمسون الخضر بالخبز ويقطعون اللحم بالشوكة والسكين .

وكان موريس بريوتى يستمع هو أيضاً إلى نشرة الأخبار .

○□○

المرأتــــــان

ذهبت الست عصمت لزيارة كاميليا بريوتى استقبلتها كاميليا فى الفراندة المطلة على الحديقة وهى أيضاً مدخل البيت .

الست عصمت أتت ومعها بعض ثياب ابنتها . فالابنة قد كبرت منذ الصيف الماضى وباتت الثياب قصيرة لا تناسبها ، أخرجتها من الكيس وأرتها لكاميليا ، ذهبت كاميليا إلى حجرة نوم أولادها وأحضرت ثياب فيفيان . هى أيضاً قد شبت وصارت ثياب العام الماضى قصيرة عليها .

إن فك ذيل الفستان لإطالته لا يكفى ، يجب اختراع موديل لتطويل الفساتين دون المساس بجمالها .

أخذت المرأتان فى التفكير وأخيراً استقر رأيهما على إطالة الفساتين بوضع وصلة من قماش آخر يضاهى لونه ، لون الفستان المراد إطالته .

ولا مانع لأن يكون للفستان موديل بعد إطالته بهذه الصورة وأن يكون أيضاً جميلاً مبهجاً .

إن الحياكة فن وربما هي أيضاً إبداع ، استقر رأيهما على الألوان وقررتا الذهاب في صباح الغد لشراء قطعة القماش اللازم لتلك الإطالة. قاستاها بالسنتي حتى لا تشتريا قماشاً أكثر من اللازم ، فهو ما زال غالياً وهما تريدان التوفير .

أحضرت كاميليا بعض الكيك المتبقي من الأمس، وضعت كوبين من الشاي أتت بهما وأخذت المرأتان في تناول الكيك والشاي والثرثرة قليلاً.

سيشترى تاجر من وكالة البلح ڤيللا بيللي وسيسكن هو مكان الخواجة لأنه سيتزوج من ابنة أحد التجار الأثرياء الذين يقطنون حي الزمالك . وسيبنى الطابق الأرضي الملاصق للحديقة شقة تسكن فيها والدته وأخوته الصغار .

يقال أيضاً إن الطابق الذي بناه الشيخ المحلاوي في عمارته سيسكنه أستاذ في كلية الهندسة عاد أخيراً من بعثته في سويسرا .

فرحت الست عصمت بالجيران الجدد حتى قبل أن يحضروا شعرت أن العائلة ستكبر ، إنها تحب مدام بيللي ومدام بريوتي ولكنها تشعر بغربة معهما خاصة حين تكونا جالستين معاً تثرثران بالفرنسية ، إنها لا تعرف ما تقلن وإن كانت تلك الثرثرة عليها أو في موضوع آخر ، كم كانت تود أن تشاركهما تلك الثرثرة وكم كانت تود أن تكون قد تعلمت الفرنسية .

***

إن بنات عمها وبنات خالها ذهبن إلى مدارس الراهبات وتعلمن بعضاً من تلك اللغة الجميلة وقد حرمها إفلاس أبيها من الذهاب إلى مدارس الراهبات ومجاراتهن فى الحديث بالفرنسية ، تماماً مثلما يحدث لها عندما تجتمع بمدام بريوتى ومدام بيللى .

***

دويب أفندى تعلم الفرنسية وهو يحادث الخواجات وزوجاتهم بتلك اللغة . ودت لو طالبته بتعليمها .. ودت .. لكنها لم تجرؤ يوماً على مطالبته بتكريس بعض الوقت لها ، فهو دائماً مشغول بالكتب .

***

تحولت عن الفرنسية وواتتها فكرة تعلم التريكو ، إنها تتقن التطريز وأيضاً الكروشيه ولكنها لا تعلم شيئاً عن التريكو إنه ليس فقط موضة، لكنه عملى ، فهى إن تعلمته ستستطيع صنع بلوفرات لأولادها وربما لزوجها أيضاً فقد يقتنع يوماً بأن البلوفر موضة أكثر من الصديرى ..

إنها تعرف المقاسات والحردات من إتقانها للحياكة فقط هى تود تعلم الغرز : الغزل بإبرتين ، أخذت تحلم لحظة ..

المـــدام ..

نعم المـدام ..

سوف تبوح لها برغبتها هذه ولن تتأخر المدام .

***

لم تعد الست عصمت تمضى أمنيتها فى الشباك ، أكثرت من زياراتها لكاميليا ، كلٌ منهما كانت فى حاجة إلى الأخرى ، فقد سافرت مدام بيللى وسافرت أيضاً إحدى شقيقات كاميليا باتت الست عصمت تملأ بعض الفراغ الذى تركته المسافرتان .

بدأت الست عصمت فى تعلم التريكو ، بدأت تتعلم أيضاً ملاءمة مقاس الإبر مع سمك الخيط ، صنعت أول ما صنعت فى أمسياتها بلوفر لطفلة عمرها سنة ، اختارته صغيراً لتستعجل النتيجة : البداية ، المقاس، الحردات .

يوم وصلت القطع ببعضها كان يوم حفل .

جلست فى حجرة الصالون ، نادت صغارها ، أعطته لهم ، وعدتهم بصنع مثله لكل واحد منهم وبدأوا الحلم بالبلوفرات واختيار ألوانها .

تمادت الست عصمت فى حلمها ، إن التريكو عملى فبعد أن يكبر الأولاد وتصير البلوفرات صغيرة عليهم سوف تفكها كما تفعل المدام وسوف تعيد الخيط إلى سيرته الأولى وتعيد غزله بدمج بلوفرين فى بلوفر واحد وإن لم يكونا من نفس اللون يا له من كنز .

باتت أمسياتها مع التريكو وتركت الشباك لتحلم بالألوان .

سعاد بـــلال

جاء الدكتور بلال من سويسرا حاملاً شهادة الدكتوراه فى الخرسانة المسلحة أخذ الشقة الجديدة فى عمارة المحلاوى لقربها من الجامعة حيث عُين مدرساً . زوجته من أرياف ميت غمر .

فرش بيتهما بسيط غاية فى البساطة - ربما لتأثرهما بأوروبا ، ربما لضيق ذات اليد فهما ما زالا فى بداية حياتهما ولم يكن هو أو هى من سلالة كبار الملاك . أدخلا ابنهما الأكبر مدرسة الروضة بجوار كوبرى بديعة . الخادمة تصحبه يومياً إلى المدرسة وتعود ظهراً لتحضره إلى المنزل .

***

يوماً بعد يوم تصادقت الخادمة مع خادمة دريب أفندى .

يوماً بعد يوم تصادق الطفلان ويوماً آخر أرسلت الست عصمت خادمتها إلى بيت الست سعاد تستأذنها فى زيارتها وذهبت .

أثارت دهشتها بساطة الفرش ، أثار دهشتها أيضاً لبس الست سعاد. لكنها قالت ربما كان هذا لبس بلاد بره .

كانت قد علمت الكثير عن الست سعاد وعن الدكتور من الخادمة .

فجأة سألت عصمت هانم :

- أتتحدثين الفرنسية ؟

- لا بعض كلمات ألمانى .

استراحت لهذا الخبر ، فقد تخيلت نفسها جالسة مع الست سعاد ومع المدام وهما تتحدثان بالفرنسية وهى لا تفهم ما يقلن .

بعد فترة قصيرة ولأنها أول زيارة ، استأذنت وعادت إلى المنزل .

***

عند عودتها لم تدخل حجرة النوم كما هى العادة لتخلع ثياب الخروج وتلبس ثياب البيت ، أحست أنها تود البقاء فترة بهذا اللبس ولم تبال بالجورب والحذاء اللذين يشعرانها بالحر والزنقة .

كانت قلقة لا تدرى إلى أين تذهب بهذه الثياب ، أتذهب إلى حجرة الصالون تضيء النور وتجلس هكذا بثياب الخروج والجورب والحذاء ؟ أم تجلس فى الصالة تلتقط أنفاسها قبل أن تذهب إلى حجرة النوم ؟ فى النهاية طرقت باب حجرة المكتب واستأذنت زوجها فى الدخول ، حتى لحظة أن تحدثت إليه لم تدرِ لم طرقت الباب ولم ستدخل حجرة المكتب ،

لسبب اخر غير الإشراف على نظافة الأرفف المرصوص عليها الكتب والتأكد من أن زجاج الشباك الشفاف يبرق من النظافة .

ابتلعت ريقها ثم بدأت تتكلم :

الست سعاد !

الست سعاد الجارة الجديدة

الصديقة المحتملة

المصرية البسيطة

كانت تظن حتى اليوم أن الخواجات فقط هم الذين يتبسطون فى الملبس وفى فرش المنزل .

الست سعاد

بلا دولاب فضية ، بلا فضية وبلا لعب وبلا صالون مذهب .

الست سعاد

يا لها من ست .

شعرت لوهلة أنها تستبدل بالست سعاد بنات العم وربما أيضاً بنات الخال .

***

فى هذا اليوم حل الشارع محل القرية فى عيون الست عصمت وبدأت

تحكى لدويب أفندى الزيارة ، ماذا قالتا ، فيما تحدثتا .. إن زوج الست سعاد أستاذ فى الجامعة أصبحت الست عصمت لا تقل عن دويب أفندى، فإذا كان هو صديقاً لبعض أساتذة المعهد فهى أصبحت صديقة لزوجة أستاذ بكلية الهندسة .

ابتعدت عن القرية وقت أن كان حلمها أن تصادق بعض قريباتها من اللواتى يتحدثن الفرنسية ويعزفن على البيانو .

حلم الأمس بات بعيداً بعيداً جداً .

لم تكن كلمة علم أو كلمة ثقافة ضمن محصول الست عصمت اللغوى لكن ودت لو وجدت كلمة تشبه تلك الكلمة لتعبر عن اكتشافها الجديد .

إن الست سعاد مثلها تعلمت حتى الابتدائية تقريباً ، إن الست سعاد لم تكن حقيقة فى مدرسة راهبات طنطا ولا تتحدث إلا بالعربية فيما عدا بعض كلمات ألمانية لزوم الذهاب إلى السوق فى سويسرا كما قالت.

يا لها من راحة أن تجد صديقة كهذه .

فجأة سألت زوجها :

لماذا لا تؤلف كتاباً ، إن الدكتور بلال سيؤلف واحداً يبيعه للطلبة بـ ٢ جنيه .

لماذا لا تؤلف كتاباً إذن ؟

رد عليها دويب أفندى قائلاً :

كتاب عن ماذا ؟

لم تجب .

استأذنت وخرجت .

اتجهت إلى حجرة النوم لتخلع ثياب الخروج .

***

بعد أن خرجت الست عصمت ، ذهبت الست سعاد إلى حجرة نومها ، خلعت ثيابها وارتدت قميص النوم ، ذهبت إلى الحمام لتغتسل وتزيل الروج والبودرة ، فكت الدبابيس من شعرها أخذت فى تضفيره ، إن زوجها يحبها هكذا بالضفائر .

إن ذلك يذكرها بأيام زمان .. أيام كانت صبية كان هو طالباً بالجامعة، أيام كان الكلام همساً بين الأهل إنها تحبه وهو يحبها وقد كانت أيام البعثة شهر عسل متصل هو يذاكر أو يذهب إلى الكلية وهى تنظف البيت أو تطهو الطعام أو تنتظر حتى يفرغ من القراءة أو من الرسم ويلتقى بها .

ثم جاء ابنها البكرى ، لكنه لم يعطلها عن زوجها ، سمعت باب حجرة المكتب يفتح فارتدت الروب على عجلة وهرولت إلى المطبخ تحضر العشاء . شيء بسيط : جبن وزيتون وبعض الخبز كان أولادها نائمين بعد

أن عشتهم الخادمة وألبستهم ثياب النوم .

عندما جلست الست سعاد جوار زوجها حول مائدة الطعام، قالت له :

اسمها عصمت ، زوجها أمين مكتبة بالجامعة ، باين عليها بنت ناس، ثم بدأت فى الحديث عن كتاب زوجها وعما تبقى من صفحات حتى يكتمل وعن مشروع النشر .

○□○

بلبل الرشيدى

استعدت الست عصمت لزيارة الجيران الجدد فأرسلت خادمتها لعائلة الرشيدى ، العائلة التى جاءت من بولاق لتسكن مكان بيللى !

فقد بنوا فى الحديقة تحت الڤيللا طابقاً بأكمله للست أم سعيد وأولادها القصر .

أما سعيد الذى تولى مكان والده فى وكالة البلح ، فقد احتل الڤيللا وسكنها هو وعروسه التى أتى بها من الزمالك .

احتارت الست عصمت أتذهب أولاً للست أم سعيد أم للعروس لتقول لها مبروك ، واستقر رأيها أخيراً على الذهاب للست الكبيرة أولاً .

لم يكن البيت به صالون ، فقط بعض الكنب العربى المرصوص فى الصالة تكسوه البياضات المنقوشة شتان كان الفرق بين الصالة عند أم سعيد وصالون العروس المذهب ، بل إن العروس عندها أنتريه به ركن للبيانو ، توقعت الست عصمت أن تكون العروس واسمها بلبل تتقن

الفرنسية ، فخريجات مدارس الراهبات بلا استثناء يضعن ضمن جهازهن بيانو سواء عزفن عليه أم لم يعزفن .

وصحت نبوءتها ، فبلبل تتحدث الفرنسية وقد تعرفت عليها كاميليا بريوتي وجاءت في زيارة تعارف وترحاب إلى بيت سعيد الرشيدى .

شعرت الست عصمت بغصة ، إذن كاميليا صارت لها صديقة جديدة وصديقة تتحدث الفرنسية ، شربت الشربات وأكلت الكعك ولم تطل الزيارة ، وعادت إلى بيتها . إنهم حقاً من بولاق ولكنهم أثرياء ، لم تذهب إلى حجرة المكتب لتحكى لزوجها الزيارة ولم تعد إلى حجرتها لتخلع ثيابها .

ذهبت إلى حجرة الأولاد شعرت إنها بحاجة إليهم ، شعرت أنها تود احتضانهم وكأن هذا الحضن سيعطيها شيئاً تحس بافتقاده .

كانوا نياماً .

اطمأنت أن الغطاء فوقهم وأن لا أحد رفسه وهو نائم وعادت.

عادت إلى حجرتها لتخلع ثياب الخروج لم ترتدِ ثياب النوم .

ودخلت السرير .

كانت تشعر بشيء من الضيق لا تدرى له سبباً لكن هذا الشيء كان كالغصة .

تقوقعت في السرير

أغمضت عينيها ، وأخذت تفكر فى أمها

لماذا لم تبع خاتماً أو سواراً وترسلها للمدرسة الفرنسية ؟ لكن كيف وهى لم تبعهم لشراء الدواء الجديد غالى الثمن الموجود بأوروبا والذى لا يجلبه إلا الأثرياء . ماتت وبقى الماس . اغرورقت عينا الست عصمت بالدمع وسال الدمع على الوسادة ، لم تمسحه ونامت .

***

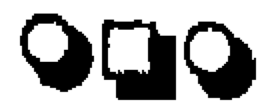
بعد أن خرجت الست عصمت ،

جلست بلبل الرشيدى إلى البيانو تلعب عليه انتظاراً لعودة زوجها من وكالة البلح ..

قبل ميعاد وصوله بقليل ، خلعت الثوب الذى قابلت فيه الست عصمت وارتدت قميص نوم من الحرير الطبيعى وساوت شعرها ثم ارتدت روب دى شمبر من الساتان اللامع وضعت بعض قطرات البرفان وعادت إلى البيانو إنه يحب أن يسمعه .

بعد قليل سيحضر وستقوم وتغلق البيانو ثم تعطى أوامرها للخادمة كى تحضر العشاء إنها تحب طقوس العشاء مثلما تحب طقوس الغداء .. المفرش ، أطباق العيش، أكواب من الزجاج الفاخر، جبن، زيتون طبعاً لكنها تضيف بعض البيض وبعض الزبادى الطازج الذى تحرص على شرائه كل يوم فى المغرب من بائع متجول يصنعه خصيصاً لبعض الزبائن المحترمين .

أرادت أن تنتقل إلى بيت عـائلة الرشـيـدى طقـوس بيت أبيـهـا فى الزمالك .



حفل الباشا

الباشا عامل حفلة ، راح تغنى فيها أم كلثوم وراح يحضرها ناس مهمون .

انتظرت الست حفيظة شقيقة دويب أفندى أن يعلق أخوها ، لكنه لم يرد ، فقط أشعل سيجارة وأخذ ينفثها فى صمت .

الست حفيظة أرملة وابنتاها تزوجتا وهى تمضى أغلب وقتها فى رفقة ابنة خالها أنيسة هانم زوجة الباشا .

دويب أفندى لا يرضيه تصرف شقيقته وكان يود أن تمكث فى بيتها تزور بنتيها أحياناً وتستضيفهما أحياناً أخرى وهو لم يرَ ابنة خاله منذ زمن فهى لم تحضر إلى بيته ولا مرة منذ تزوج رغم أن السراى فى الدقى وهو أيضاً لم يذهب لزيارتها ، فقط كان يترك الست عصمت تذهب إلى أنيسة هانم حين تكون الست حفيظة فى القاهرة . وحين تبعث إليها برسالها سيسألها الحضور للسراى .

بعد فترة صمت قالت الست حفيظة ، أنت مدعو لحضور الحفل وعصمت أيضاً . سيكون هناك كبار رجالات البلد .

رد فى صوت يكاد يسمع

- كبارات البلد ...

لكن الست عصمت يمكن أن تذهب

- لا عليك الحريم فى الدور الأول والرجال فى السلاملك ، وعلى فكرة عزيزة هانم وتوحيدة هانم جايين للحفل .

طال الحديث بين السيدتين حول الحفل الذى انبهرت به الست عصمت قبل أن تذهب إليه .

نعم ستذهب وستحكى كل شيء بالتفصيل إلى المدام وإلى بلبل وإلى سعاد .

ستعرف كيف تشعرهن أن لها أقارب من الأكابر ، قطعت عليها أحلامها الست حفيظة وهى تقول .

- يا ترى فستان الخطوبة ما زال مقاسك طبعاً ، فستان الفرح ده فستان فرح ما يتلبسش فى حفل .

-لا فستان الخطوبة ولا فستان الفرح صارا مقاسى لكننى سأتصرف.

- عارفة إنك شاطرة .

انتهت الزيارة وخرجت الست حفيظة تاركة عصمت فى دوامة من

التفكير .

ماذا ترتدى يوم الحفل ؟

ستسأل المدام لكن عندها فكرة أن سيدات المجتمع الراقى يرتدين الثياب السوداء فى سهراتهن ، نعم .. طرحة أمها ، إنها عريضة وطويلة وقماشها شفاف ينفع ثوباً لليل .

انفرجت أساريرها .

إن صدر فستان الخطوبة به أبليكات من الترتر الأحمر والخرز الأحمر تشبه السمبوكسة ستخلعها وتركبها متناثرة على ذيل الفستان وعلى ناحية من صدره . انتظرت بصبر بالغ الصباح ثم الظهيرة ثم بعد الظهر وذهبت إلى كاميليا بريوتى ومعها الطرحة وصدر الفستان ، عرضت عليها الفكرة ، تحمست كاميليا ، ذهبت الاثنتان إلى حجرة السفرة ، فردتا القماش بعد قليل كانت الطرحة مشروع فستان .

جلستا على الأريكة ، واحدة تسرج الفستان وواحدة تنزع الأبليكات من صدر فستان الخطوبة ، يوم عمل شاق طوال فترة العصرية ، بعدها صار فستاناً غاية فى الجمال والرقة .

إنها تود أن ترى بلبل الرشيدى أو سعاد بلال الفستان لكنها لن تجرؤ على سرد قصته على مسمعهما ، فهما تشتريان القماش وتذهبان للخياطة ، أما هى : هه العين بصيرة واليد قصيرة ، علقت الثوب فى

الدولاب ثم ذهبت لتجلس وحدها فى حجرة الصالون .

الفستان جاهز .

***

لكن . هل ستعود سيراً على الأقدام بعد الحفل وسط كل هولاء الذين سيعودون بعرباتهم وهل ثوبها سيبدو أنيقاً ؟ إن بنات الباشا وزوجات أولاده قد اهتممن قطعاً بهذه المناسبة وطبعاً اشترين ثياباً أنيقة ، أترى ثوبها يليق فعلاً بهذا الحفل ؟ لا ، لن تذهب ما لها ومال الحفلات إن الست حفيظة ستبيت عند ابنة خالها كما تفعل عادة لكن هى ، عصمت، كيف تخرج من السراى بل وكيف ستدخله ماذا لو سألها أحدهم من أنتِ ؟

عادت إلى الدولاب فتحته ، أخرجت الثوب نظرت إليه أدخلته مرة أخرى تنهدت قالت بصوت مسموع :

- يمكن ألبسه في فرح

أما الحفل ...

ايام تنساب

الأيام تنساب مع ماء النيل حلوة رتيبة تزينها عصمت وكاميليا وسعاد وبلبل

كلما التقى الرجال يلقون بالتحية بعضهم إلى البعض حين يتقابلون صدفة فى الشارع .

أما الأطفال فكانوا يلعبون مع بعض، الأولاد بالكرة والبنات الحجلة.

الست عصمت ترى فى زوجها المثل الأعلى للزوج : أفندى ، محترم ، يعمل بالجامعة ، يقرأ كثيراً . كما أن فى بيتها حجرة مكتب وبعض الكتب بالفرنسية وبعض آخر بالإنجليزية دويب أفندى كان طالباً بكلية الحقوق غيوراً على مستقبل بلده ، سجن عقب إحدى الحركات السياسية ونُصل من كلية الحقوق ، عمل بالبكالوريا موظفاً فى وزارة المعارف وقيد نفسه فى المعلمين العليا ثم تخرج فيها . تدرج بالوظائف حتى صار أميناً للمكتبة فهو يحب الكتب ويحب القراءة . كان قد أجاد الفرنسية

فى كلية الحقوق وكان راتبه لا يسمح له بشراء كل الكتب التى يود قراءتها .

***

بعد أن تزوج كان يحدث زوجته فى مضمون بعض هذه الكتب وكانت هى تتباهى بما تردده من مقولات سمعتها من زوجها .

***

لم تفهم الست عصمت لماذا بدأت فى هذا اليوم ، يوم علمت بالكتاب الذى يؤلفه د . بلال ، تشعر أن زوجها ليست له الهالة التى وضعتها عليه ، بدأت تفكر فى مؤلفى الكتب وما إذا كان زوجها يمكنه القيام بذلك

لماذا إذن كل تلك الكتب المرصوصة على الأرفف والتى تأكل جزءاً لا بأس به من المرتب .

فيم تفيد تلك الكتب ؟

وما معنى الثقافة والتثقف ؟

٢ جنيه ثمناً لكل نسخة من كتاب د . بلال .

ياه ......

ياه ....

***

أنغـــام ..

ليس هذا وقت إذاعـة الموسـيـقى ، أنغـام جـمـيلة تأتى من بيت الرشيدى، إنها بلبل تعزف على البيانو ، أوراق الشجرة الوحيدة بالحديقة تهتز مع النسيم .

يا لها من جميلة هذه الدنيا .

كاميليا أيضاً كانت تطرز وهى تصغى للموسيقى .

◯□◯

الجــزء الثانى

١٩٤٨

يبدو أن الأحوال تحسنت ، فبنت أبله الناظرة طابقين سكنت أحدهما وعلّقت على الآخر لافتة «للإيجار» وبقى بعض الزلط والرمل يزحم الشارع الصغير .

اختفت لافتة «للإيجار» وباتت شقة الطابق الثانى مسكونة بأطفال بيض وشقر من كل سن ، صبيان وبنات .

سألت الست عصمت أبلة الناظرة عن السكان الجدد قالت أبله الناظرة إنهم مهاجرون من يافا .

عندما علم دويب أفندى بالخبر طالب زوجته بالذهاب لزيارتهم علهم يحتاجون إلى شيء

***

أرسلت الست عصمت ابنتها تستأذن فى الزيارة ، عادت الابنة فرحة بالسكان الجدد فكل هؤلاء الفتيات سيصبحن صديقات لها . عادت

لتقول إنهم جُمال ، لكن ليس لديهم غير الحصير وطالبت أمها بأن تصطحبها للزيارة ، رحبت الأم بالفكرة وأخذتها معها .

***

لم يكن الحوار سهلاً فكل من السيدات كانت تتحدث بلهجة يصعب على الأخرى فهمها .

بدأت الفتاة تلعب مع الفتيات ، قلن لها : سنريك لعبة ، وذهبن إلى المطبخ ليعصرن بصلاً ثم يضعن فيه ريشة ويكتبن على ورقة ، ثم يأتين بعود ثقاب وبعد إشعاله يمررنه تحت الورقة فتحترق الحروف المكتوبة وتبدو الرسالة واضحة بعد أن كانت الورقة بيضاء .

- لماذا تكتبن هكذا ؟

- حتى لا يقرأ اليهود الرسالة .

- أى يهود ؟

- ألم تسمعى أبداً باسمهم ؟

- لا .

- يطخون بطن المرأة الحامل بسكين ويتراهنون على نوع الطفل الذى تحمله ولد أم بنت .

- اليهود ؟

لم تشعر بالوقت الذى مر وبدت لها الزيارة قصيرة .

عادت وأمها إلى البيت .

***

عندهم ٨ عيال يا دويب أفندى وعايزين يدخلوهم المدارس .

- رقبتى سدادة يا ست عصمت من بكره آخذ أوراقهم وأروح الوزارة.

- نديهم الكنبة علشان أبو عاهد ينام عليها . مسكين الراجل ٨ عيال ومراته حامل باين عليهم من عيلة ، صحيح بيناموا على الحصير ، لكن الصبغة بتاعتها تدل على إنهم ولاد عز - بيقولوا هو وعيلته كانوا عندهم جرنال .

- كان الله فى عونهم .

- بيقولوا اليهود بهدولهم أوى .

- ما حدش عارف الحكاية ايه - يوم الغارة كان مخزن الذخيرة اللى ولع .

- أقول للمدام ولّلا لأ ؟

- خلينا فى الولاد اللى عاوزين مدارس .

***

ذهب دويب أفندى إلى الوزارة . سأل عن الأوراق اللازمة لإدخال أولاد أبو عاهد إلى المدارس .

***

فرح الأولاد بعضهم ببعض وبدأ اللعب . بدأ يتعلم كل منهم ألعاب الآخر وأيضاً أغاني الآخر

***

سكنت أم نبيل في حجرة السطح بالعمارة التي كانت تقطنها أم عاهد فقد جرت العادة في ذلك الوقت أن تبنى حجرة بملحقاتها فوق السطح - وفي غالب الأحيان كان يسكن مثل تلك الحجرة طالب أو أكثر من طلاب الجامعة لقرب حي الدقي من الجامعة

كان واضحاً أن أم نبيل لم تكن متيسرة الحال مثل أم عاهد . لذلك اشترت ماكينة خياطة لعلها تعيش وعائلتها بعائد عملها .

وجدت الست عصمت ضالتها في أم نبيل وقررت أن تجد لها زبائن .

كانت أولى هؤلاء الزبائن هي الست سعاد بلال .

ذهبت الاثنتان في زيارة لأم عاهد وأرسلت هذه في طلب أم نبيل وبعد حوار دار نصفه باللهجة الفلسطينية ونصفه الآخر باللهجة المصرية اتفقت أم نبيل مع الست سعاد على حياكة كسوة الشتاء القادم فيما يخص ملابس المنزل طبعاً . إن الست سعاد لها خياطتها فيما يخص ملابس الخروج .

حين انتهت الزيارة خرجتا معاً الست عصمت والست سعاد .

في الطريق قالت :

- أنا مش عارفة أشكرك إزاي، كنت فعلاً حاملة هم خياطة كسوة الشتاء .

ثم تبادلتا التحية ودخلت الست عصمت بيتها وواصلت الست سعاد سيرها حتى آخر الشارع حيث تقع عمارة المحلاوى .

كان دويب أفندى كعادته جالساً يقرأ فى حجرة المكتب .

علقت الست عصمت ثياب الخروج وارتدت زى البيت ثم أشرفت على عشاء الأولاد ، شعرت أن شيئاً لا يريحها ، لماذا رفضت بلبل الرشيدى الاستعانة بأم نبيل ؟ إنها كانت فرصة لمساعدة تلك الأم المهاجرة والتى تخشى أن ينفد ما جاءوا به من نقود فزوجها لم يعمل بعد .

لكن .... هه ! الناس مذاهب .

تساءلت أيضاً لِمَ لمْ تذهب بلبل الرشيدى لزيارة أم عاهد ؟

إنها آخر القادمين للسكنى بشارع بليلى ومن واجب السكان القدامى الذهاب لزيارتها والترحاب بها ، لكن مالها هى وكل ذلك ؟ فبلبل حرة فيما تقرره . فهى لا تذهب لزيارة حماتها فى الدور الأرضى إلا فى المناسبات . عجيبة بلبل هذه !

***

أغلقت شباك حجرة الصالون ، فقد بدأت لسعة البرد الآتية مع الخريف ، لم تعبأ بأنغام بلبل الآتية عبر الشارع . شعرت بها بعيدة . إن بلبل منذ أن جاء الفلسطينيون ، لم يعد لها شغل غير مساعدة ڤيڤيان فى درس البيانو . ولم تعد ڤيڤيان تلعب الحجلة أو الكرة فى الشارع مثلما كانت تفعل من قبل مع الأولاد وأولاد بلال ، لقد شدها البيانو ودروس البيانو عن اللعب فى الشارع الذى أصبح يكتظ بالأولاد منذ أن

حضر الفلسطينيون ..

لقد ذكّرها البيانو بقريباتها اللاتى تعلمن فى المدرسة الفرنسية ،، لقد كان ضمن جهازهن بيانو كن يجدن العزف عليه والبعض الآخر لا يجدنه . لكن المهم هو وجود البيانو .

تنهدت .

ليت المرتب يسمح وإلا كانت أعطت ابنتها درساً فى العزف مثلما فعلت المدام .

***

شعرت بالحنين إلى زوجها ودت لو دخلت عليه لتقول له شيئاً أو أن يقول لها شيئاً ، لكنها اكتفت باستكمال نسيج جرس كانت تنسجه .

***

بعد حوالى أسبوع حين جاءت أم نبيل وأم عاهد لزيارتها تطرّق الحديث إلى الحياكة ، استأذنت فى تركهما لحظة ، ذهبت إلى حجرة نومها ، فتحت الدولاب ، ملابس قليلة ، لكن ، بينها الفستان الذى حاكته لحفل الباشا ، أخرجته نظرت إليه فى زهو مشوب بالأسى ، تحسست الأبليكة التى تزين الصدر ، تنهدت ثم عادت إلى الصالون لتريه لصديقتيها ، لم تتكلم كثيراً فقط قالت :

- ده شغلى .

١٩٥٢

جاء الأولاد مبكراً من المدرسة ، جاءوا يلهثون ويتكلمون في نفسٍ واحد ، لم تفهم الست عصمت شيئاً غير أن القاهرة بها عدة حرائق في المحلات الكبرى . أمرتهم بخلع الثياب والاستذكار حتى يحين موعد الغداء .

حين دخل دويب أفندي البيت كان متجهم الوجه ، سارحاً في شيء ما ، لم تفهمه الست عصمت . ودت لو سألته ما الذي حدث ؟ ومن الفاعل ؟ لكنها فضلت السكوت .

دخل حجرة المكتب ، عندما حان موعد الغداء استأذنت في الدخول ، رأته يدخن سيجارة ولا يقرأ .

- الغداء جاهز .

- اتفضلوا انتم .

- وانت ؟

- لا .

أغلقت الباب بحذر ، وذهبت لتشارك الأولاد الغداء .

- هو بابا مش هياكل ؟

- لا .. سيبوه .

لم يذهب دويب أفندى إلى حجرة نومه ليستريح ، بل ترك حجرة المكتب ليخرج ولم يجرؤ أحد على سؤاله إلى أين هو ذاهب ، ودت الست عصمت لو تذهب إلى المدام أو إلى سعاد لتسألها ما الذى حدث، وماذا فى القاهرة يدور .

فكرت فى الذهاب إلى بيت الباشا لكنها آثرت الصبر والانتظار.

عاد دويب أفندى قبل المغرب بقليل .

- تأكل ؟

- لا ، فنجان قهوة بس .

دخل حجرة المكتب وهو يردد لا حول ولا قوة إلا بالله .

سمعت أن الأحكام العرفية أعلنت ، ولا خروج بعد ساعة المغرب .

***

أتت سعاد بلال ومعها قطعة من الصوف مشغول فيه ورق شجر من نفس لون القماش ، أرتها للست عصمت .

- مبروك . جميلة أوى .

الحرامية دخلوا المحلات وقت الحريقة وأخذوا أثواب القماش من على الأرفف وبيبعوه برخص التراب .

- دى غالية أوى يا عصمت .

لم ترد عصمت ، فقط سرحت فى دويب أفندى ، إنه لن يسمح لها بشراء قماش مسروق ، وحتى لو كانت الميزانية تسمح .. لرفض هذا القماش .

استمرت سعاد فى الحديث والثرثرة ، ثم قالت :

- أنا رحت للخياطة قالت مش مكفى كلوش ، إنتِ ايه رأيك ؟

فردت عصمت القماش وقاسته مثلما تقيسه الخياطات الشعبيات ، بالإمساك بطرفه بيد وفرد ذراعها حتى اخره وجر الطرف الآخر من القماش باليد الأخرى حتى أنفها . هذا قد اثنين ، اثنين ونصف يكفى ما القماش عرض عرضين .

- إذن ، قصى الكلوش والباقى يكفى الكورساج والأكمام . والخيّاطة تكمل قص الفستان وتخيّطه .. شعرت عصمت بالزهو إنها تسبق الخياطة فى هذه المهارة .

وذهبت المرأتان إلى حجرة السفرة ، فردت عصمت القماش ثم عملت منه طبقات حتى تكون القصة مضبوطة ، وقصته .

كانت سعاد تدور حولها ، وهى تردد اوعى تبوظيه ، إوعى القماش اللى فاضل ما يكفيش الكمام والصدر ، وعصمت تطمئنها وتقص ..

انتهت من مهمتها وأخرجت هذه القطعة للأكمام ، وتلك للظهر أما الباقى للصدر ، قبّلتها سعاد ، وأخذت أشيا ءها وخرجت .

***

رتبت عصمت السفرة وهى تفكر فى دويب ، لِمَ كل ذلك التشنج ؟ لِمَ لا تفعل مثل سعاد وتشترى من القماش المسروق ؟ إنها أصواف لا تحلم باقتنائها وارتدائها ، إنه قطعاً من محل «شيكوريل» الذى يشترى منه الباشوات وعلية القوم .

قالت لنفسها :

- نهايته .

وأخذت بقايا القماش المقصوص وفردت المفرش وبها شيء من المرارة.

***

لم يستيقظ فى هذا اليوم دويب أفندى ، أرسلت الست عصمت إحدى الخادمات إلى مدام كاميليا ، جاءت مهرولة ثم عادت لترتدى ثوباً آخر وتذهب إلى الصيدلية لطلب طبيب معرفتها .

جاء الطبيب وأنبأ المرأتين بأنها النهاية .

***

احتارت الست عصمت فيما تفعل والأولاد ما زالوا فى سن المراهقة والمشوار طويل لكن ، لا بأس ستكون شجاعة . ارتدت ثوباً أسود وذهبت إلى الصيدلية وطلبت أحد معاونى زوجها فقد كان المرحوم قد أعطاها رقم تليفون المكتبة تحسباً للطوارئ .

حين جاء الساعى كان برفقته أمين المكتبة المساعد ، ذهب الساعى إلى مكتب التلغراف حتى يرسل برقيات إلى الأقارب وبقى معها زميل زوجها ، الذى وعدها بالسعى وراء المعاش ، ما أمكنه .

فى الظهيرة كان يجب عليها أن تواجه الأولاد ، تسمرت عيناها وهى تنظر إلى الحائط كان وكأنه مكتوباً عليه كلمة «شجاعة» نعم .. ستطالب أولادها بالشجاعة ، ستقول لهم أحبوا وأحبوا اسم أبيكم ، فقد كان رجلاً عظيماً .

***

بعد المأتم اجتمع بها الرجال من العائلتين ، أتعود إلى القرية ؟ أتزوج ابنتها ذات الخمسة عشر عاماً ؟ أتظل كما هى ؟

أسئلة كثيرة ..

ردت فى اقتضاب وحسم ، سأكمل مشوار زوجي إنه لم يمت بعد ، حسه فى الدنيا .

أما الابنة فستكمل تعليمها مثل الأولاد حتى لا تحتاج لأحد .

تذمر العديد من الرجال ، حتى إن أحدهم عقب فى سخرية :

- أمّا نشوف .

واستأذنوا وتركوها ولم ترهم إلا فى ذكرى الأربعين .

***

كانت هناك مقاطعة صامتة بين العائلتين وبينها .

مقاطعة زادتها استعداداً للتحدى . إنها لا تشعر بالألم الذى شعرت به عند وفاة أمها . لقد أحست أن أمها ذهبت شهيدة سوء العلاج وسوء تصرف الوالد أما دويب أفندى فقد رحل مستوراً . ودت لو بكت لكن على صدر من ؟ .

***

ألغت الست عصمت حجرة المسافرين وجعلتها حجرة لابنتها ، أما حجرة الأولاد فقد صارت للولدين .

***

بعد معاناة ، وبعد مساعدة زملاء دويب جاء المعاش ، إنه بالكاد سيكفى ..

***

جلست الست عصمت وحدها تفكر لِمَ لا تبيع قطعة الأرض المجاورة للبيت وتبنى طابقاً وتؤجره فإن حلم العمارة الكبيرة بدأ يتبخر .

قررت الذهاب لسعيد الرشيدى لأخذ رأيه وفعلاً ، فى اليوم التالى ذهبت لبلبل التى دعتها للانتظار ، قال سعيد الرشيدى :

إن الفكرة جيدة وسوف يتولى انتقاء سمسار أمين حتى تباع الأرض بأعلى سعر ، بعد ذلك سيأتى لها بمقاول من معارفه ، قال أيضاً إنه سيورد لها الحديد المسلح وأن ما عليها إلا أن تدفع وقتما تسمح ظروفها بذلك . شكرته واستأذنت فى الخروج .

***

كانت معركة ، فقد كان عليها منذ الصباح الباكر ارتداء أحد ثياب الخروج القديمة حتى لا يأتى المقاول أو أحد العمال فيجدها فى ثياب البيت ، نسيت التريكو والتطريز وباتت الورقة والقلم وما تعلمته من علم الحساب هم رفاقها ، من حين لحين كانت تتساءل ما الفرق بين الرجل والمرأة ، إذا أرادت المرأة ؟

بعد المغرب حين يكون العمال قد أنهوا عملهم تصعد لترقب وتشاهد عن قرب ما الذى تم وما الذى تبقى .

أحبت هذا الصعود اليومى إلى الطابق الجديد حتى أدمنته .

***

أذاع الراديو أن الملك قد ذهب بلا رجعة .

يا ترى ما الذى سيقوله دويب أفندى لو سمع ذلك ؟ وطلبت من

الخادمة أن تنادى على بائع الجرائد ليأتى بالجريدة اليومية من جديد .

فمتابعة تلك الأحداث شيء مهم ، وقد يهم الأولاد .

اطمأنت للثوار ، فوجود طبقات متفاوتة الثراء لا يرجع غير الأثرياء، أما المتواضعون مثلها فهم ينكسون الرأس لمجرد أن دخلهم متواضع .

وتذكرت يوم حفل الباشا ، والفستان الذى صنعته يداها .

***

أتى سعيد الرشيدى بأسرة من بولاق لتسكن الطابق الأول .

قالت له الست عصمت، وهى تشكره اللى تعرفه خير من اللى تجهله.

لكنها لم تنشئ علاقة مع السكان الجدد .

○□○

١٩٥٣

سافر الدكتور بلال إلى السعودية للاشتراك فى بناء قصر أحد الأمراء ، عاد ببعض المال فاستأجر فى وسط البلد شقة جعل منها مكتباً استشارياً له .

استقر أبو عاهد فى الأردن وكان يرسل بانتظام بعض المال لأسرته .

○□○

١٩٥٤

جاءت الخادمة من السوق مهرولة ..

- ستى ، ستى .

- خير ؟

فيه جنازة فى الدقى القديم بيقولوا الضباط ها يهدموا البيوت اللى هناك .

- ليه ؟

- ما عرفش .

- الستات دول كتير .

- كتير أوى ، بيلطموا ويصوتوا وبيعددوا .

حين زارت الست عصمت الست سعاد بعد هذا الحدث بيومين تأكدت إن الخبر صحيح وإن العزبة التى تقع خلف وزارة الزراعة والمواجهة لسوق الدقى ستهدم ، قالت الست سعاد ، إنه ستبنى مكانها ڤيللات لأساتذة

الجامعة وإن الفيللا سيكون ثمنها ستة آلاف جنيهاً ، وإن جزءاً سيدفع فوراً والجزء الباقي بالتقسيط ، قالت أيضاً إن الدكتور بلال لم تفته هذه الفرصة وإنه سيدفع الجزء الفورى من ثمن الفيللا من النقود التى كسبها من السعودية والجزء الآخر من عائد المكتب .

لم تعلق الست عصمت .

***

حين عادت الست عصمت إلى بيتها خلعت ثياب الخروج ثم ارتدت ثياب المنزل وذهبت إلى حجرة الصالون لتكمل غزل بلوفر .

شعرت بحنين إلى زوجها ، وودت لو كان موجوداً لتسأله إن كان ما حدث يليق بالثورة ؟ فكيف يخلع هؤلاء الفقراء وأغلبهم باعة فى الدقى يبيعون الخضار والفاكهة من بيوتهم ؟ تساءلت أيضاً إن كان السوق سيظل كما هو بعد انتقال سكان القرية إلى أحياء أخرى . ظلت تغزل حتى منتصف الليل تقريباً وهى تفكر فى زوجها الراحل ، الذى لو كان حياً لرد على أسئلتها العديدة .

على أى الأحوال فمجانية التعليم فائدة ستستطيع تعليم أولادها الثلاثة فى الجامعة دون أن يرهقها ذلك .

***

فى اليوم التالى ذهبت الست عصمت والست سعاد ومعهما كاميليا بريونى لوداع بلبل الرشيدى . كانت بلبل مستعدة للاستقبال ، مرتدية

ثوباً أنيقاً ، كانت أيضاً قد أحضرت بعض قطع الجاتوه وبعض الكيك والبسكويت ، سرحت الست عصمت فى والدتها التى علمتها إتقان صنع البسكويت وفى كاميليا التى علمتها صنع الكيك .

تذكرت أنه منذ وفاة دويب أفندى لم تصنع بسكويت للأولاد وربما آن الأوان لتفك الحداد وتصنع لهم بعض الحلوى ، دار الحديث حول الفرش الجديد الذى اشتراه سعيد الرشيدى لشقة الزمالك .

أما الفرش الحالى فسوف تأخذه العائلة ، أمه وأخوته الأصغر منه ، وسوف يسكنون شقة بالدقى بجوار شقيقة سعيد المتزوجة .

***

جاء السكان الجدد من بولاق أيضاً ، سكنوا مكان سعيد الرشيدى وأجّروا الطابق الأرضى لإحدى العائلات .

كان واضحاً أنهم ما يزالون فى التقاليد الشعبية ، فالأم ترتدى المنديل ولا تسير برأسها عارية ، والابنة لا تذهب إلى المدرسة فهى التى تنظف البيت .

أما الأب فهو يرتدى البالطو فوق الجلباب ولم يخلع الطربوش بعد . لم تشعر الست عصمت برغبة فى زيارتهم للترحاب بهم . إنهم ليسوا من وسطها ، ولم تتحدث مع كاميليا بيريونى أو مع الست سعاد فى هذا الموضوع . ولم تفتح هذه أو تلك حديث الزيارة المحتملة للسكان الجدد .

١٩٥٥

سافر أولاد كاميليا بريونى إلى الخارج لمدة شهر . لم تعرف الست عصمت إلى أين ذهبوا فلم تعد علاقاتها مع كاميليا كما كانت من قبل ولم تعد كاميليا تجلس فى الفراندة لتحيك الثياب أو تغزل التريكو أو تحضّر خضار الغداء كما كانت تفعل من قبل كانت وكأنها تود أن تعتكف فى هذا الوقت كانت زيارات الخواجات إلى كاميليا متكررة .

تساءلت الست عصمت إن كانت مدام كاميليا تود الابتعاد عن أهل البلد .

أم نبيل أيضاً ابتعدت فقد استأجرت شقة فى شارع آخر بعد أن تيسر حالها وحال زوجها الذى سافر إلى الأردن مثل أبو عاهد .

فى آخر زيارة لأم عاهد قالت هذه إنهم يريدون الاستقرار فى الأردن.

وكأنما الوداع أصبح من شيم شارع بليلى ، ذهبت الست عصمت مع الست سعاد ، ولم تكن معهما هذه المرة كاميليا بريونى ، إلى بيت أم

عاهد لوداعها .

إن كاميليا لم تذهب لزيارة أم عاهد ولا مرة تجاهلت تماماً وجودها بالشارع .

***

استقبلتهما أم عاهد بترحاب شديد وقدمت الشربات ، كانت فرحة ، فعدد كبير من أفراد العائلة فى الأردن ، وهى مسرورة للعيش بينهم .

مضى زمن منذ هاجروا وكان الأمل أن تكون الهجرة مؤقتة .

زمن منذ كان الأولاد يتحدثون عن العودة إلى يافا .

زمن وزمن ..

***

أكبر الأولاد صار بالجامعة وسيظل بالقاهرة لاستكمال دراسته ، سيسكن على السطح فى الحجرة التى كانت تقطنها أم نبيل أما باقى الأولاد فسيرحلون معها إلى الأردن حيث استقر زوجها فى عمل مهم .

- ها توحشينا يا أم عاهد .

- كنت منورة الشارع .

- تركتيه والكل مدمع العين .

- عشرة .

حين صارتا ، عصمت وسعاد ، أمام بيت بريونى تنهدت سعاد وقالت:

- شحططوهم اليهود ، يا ست عصمت ، ربنا يتولاهم .

***

جاءت عزيزة هانم وهى متزوجة من أحد أولاد عمومة دويب أفندى لزيارة الست عصمت .

عزيزة هانم سيدة تركية تعزف على البيانو وتحب الزهور . زوجوها لتوفيق بك لثرائه ولثقافته الفرنسية .

كانت عزيزة هانم تحب زكية هانم والدة الست عصمت وكانت أحياناً حين تأتى إلى القاهرة تزور الست عصمت . عزيزة كانت لها شقيقة اسمها توحيدة هانم وكانت توحيدة هانم أرملة أحد بكوات الصعيد وتقطن فى أحد البيوت التى تقع فى شارع عبد المنعم ، أحد المناطق الراقية بحى الدقى .

قالت عزيزة هانم إن ابنتها تنوى عمل سبوع لأول ولد بعد ٣ بنات وإنها تدعوها نيابة عن ابنتها لحضور حفل السبوع .

قالت أيضاً أن الحفل كبير وسيستمر حتى منتصف الليل وسوف يتولى سائق توحيدة هانم توصيل الست عصمت .

أمام إلحاح عزيزة هانم قبلت الدعوة .

سترتدى الفستان !!

○□○

١٩٥٦

النيل ينساب بين ضفتيه والأيام تمر والست عصمت فرحة بأولادها الذين دخلوا الجامعة .

لم تعد لديها إلا خادمة واحدة تعاونها فى شؤون المنزل وبات هى التى تطهو الطعام وتصحو مبكرة حتى تحضر للأولاد فطورهم فقد كانت إحدى وصايا دويب أفندى أن يهتم المرء بوجبة الإفطار .

إن أولادها انضموا إلى الحرس الوطنى حتى الفتاة ، وهى مبهورة بما يحكونه لها عن الحرس الوطنى .

لا يعكر صفو الست عصمت إلا قرب موعد انتقال عائلة بلال إلى حى هيئة التدريس - هكذا يسمونه - دعتها يوماً الست سعاد لزيارة الڤيللا ولم تكن قد اكتملت بعد .

فى الطابق الأرضى الصالون والسفرة وحجرة المكتب وأيضاً المطبخ، وفى الطابق الأول حجرات نوم سيكون لكل من الأولاد حجرته .

وسيكون بها مكتب

شعرت الست عصمت بزهو .

الست سعاد أصبحت بعد ابتعاد كاميليا بريونى أقرب الصديقات إلى نفسها بل هى بمثابة قريبة لها .

***

جاء موعد الانتقال إلى الڤيللا .

أرسلت الست عصمت خادمتها للمعاونة - قالوا إنهم ليسوا بحاجة إليها ، فالخفير الذى عينوه سيقوم مع السعاة الملحقين بالمكتب الخاص بالدكتور بهذه المهمة .

***

بعد حوالى شهر أرسلت الست سعاد الخفير ليدعو الست عصمت للزيارة ذهبت ، كادت لا تتعرف على الحى فقد تم طلاء الڤيللات وهى كلها جميلة وعلى نفس الموديل ، حتى يكاد المرء أن يتوه بينها .

حديقة صغيرة لم تنبت فيها الحشائش والورود بعد ، لكن واضح أنها زُرعت .

أخذت الست عصمت تنتقل من انبهار إلى انبهار . والست سعاد تنتقل بها من حجرة إلى حجرة

.. سجاد ونجف وفرش وتحف ... وصالون مذهب !

رباه . ما هذه الأبهة .

حين تركت على باب بيتها الخفير الذى أوصلها تساءلت إن كانت يجب أن تعطيه بعض النقود ؟

كلما تذكرت أن الأولاد يودون الذهاب إلى رحلة مع الجامعة وقد يستلزم ذلك دفع اشتراكات .

***

بعد أن خلعت ثياب الخروج وارتدت ثياب البيت ، لم تذهب إلى حجرة الصالون كعادتها لتغزل بلوفر أو تطرز مفرشاً ، بل ذهبت إلى حجرة السفرة حيث يستذكر الأولاد .

قالت لهم إنها تود الحديث فى أمر هام بعد أن ينتهوا من الاستذكار.

***

كان الأمر الهام هو شقة فى شارع عبد المنعم كله ڤيللات ، لكن منذ الثورة بُنيت فيه عدة عمارات وقد علمت وهى فى زيارة لتوحيدة هانم أن الشقق فى العمارة المجاورة لها أسعارها معقولة . هناك ستكون جارة توحيدة هانم ، وستكون فى شارع راق ، وقد يكون هذا جيداً بالنسبة للأولاد إذا استقبلوا بعض زملائهم بالجامعة .

من ناحية أخرى فقد سكن مكان أم عاهد بعض الموظفين القادمين من الريف .

أما شقة سعاد بلال ، من يدر من سيسكنها ؟

***

حين انتهى الأولاد من الاستذكار سألوها عن هذا الحدث المهم.

عرضت عليهم فكرتها .

لم تلاق مقاومة كبيرة واتفقوا على زيارة شقة عبد المنعم يوم الجمعة.

رتبت الست عصمت كل شيء وبعد فترة قصيرة انتقلت الأسرة إلى شارع عبد المنعم ..

أتت كاميليا بريونى لوداعها وتمنت لها التوفيق ، كانت بلبل بعيدة وسعاد بعيدة وأم عاهد أيضاً بعيدة .

***

استغنت الست عصمت عن بعض منقولاتها لأن الشقة الجديدة أصغر من الشقة القديمة وكان ضمن ما استغنت عنه حجرة المكتب .

***

أصاب الجميع إحساس بالغربة فهم لا يعرفون أحداً من سكان العمارة ولم يأت أحد لزيارتهم والترحاب بهم ، فقط هى شقة جميلة فى حى جميل وتطل على حديقة الڤيللا المجاورة ، انسابت الأيام فى هدوء حتى أتى صوت عبد الناصر .

تحمس الأولاد وذهبوا إلى الجامعة ..

- رايحين فين ؟

- الجامعة اجازة .

- الحرب .

- الأستاد ، كل زملائنا تطوعوا .

- مصر .

- لم تقل شيئاً . انتظرت حتى يعودوا .

- تبرعنا بدمائنا .

- ربما سافرنا إلى الاسماعيلية .

- لا .

- لما كل أم تقول لا . من يسافر ؟

بعد بضعة أيام عادوا ..

هل انتصرنا ؟

***

جاءت الست سعاد لزيارة الست عصمت فى بيتها الجديد .

وقالت إن بلبل الرشيدى زارتها لتهنئها فى الڤيللا وأنبأتها أن عائلة بريونى جاءها أمر بالرحيل فى خلال ٤٨ ساعة من استلامه ، قالت أيضاً إن سعيد الرشيدى تولى أمر بيع ڤيللا بريونى وما فيها من منقولات وإن

سفر رالف وڤيڤيان فى الإجازة كان لتهريب رأس مال بريوتي.

سكتت قليلاً

شربت الشاى .

وقبل أن تخرج أضافت ، لقد صار شارع بلبلى اسمه شارع دويب - بلبلى سابقاً ، ودعتها الست عصمت ، أغلقت الباب وجرت إلى ابنائها تنبأهم بالخبر ..

- الشارع بقى باسم أبوكم .

- أيوه ، لكن ..

- لكن إيه ؟

- ولا حاجة .

الفهــرس

المؤلف

ليلى مصطفى الشربينى

الدراسة:

* بكالوريا فرنسية شعبة رياضيات - ١٩٥٤ .
* بكالوريوس علوم - رياضة بحتة - كلية العلوم جامعة القاهرة ١٩٦٢.
* شهادة الدراسات المتعمقة (M.Sc.) فى الإحصاء الرياضى - جامعة باريس ١٩٦٦ .

العمل:

* مدرسة رياضيات - ليسيه باريس ١٩٦٣ : ١٩٦٦ .
* باحثة بوزارة الصحة الفرنسية ١٩٦٧ .
* باحثة بوزارة الصناعة الفرنسية ١٩٦٩ : ١٩٧١ .
* مدرسة إحصاء - جامعة الجزائر ١٩٧٢ .
* باحثة بمعهد الإحصاء - جامعة القاهرة ١٩٧٣ : ١٩٩٥ .
* أستاذ إحصاء بجامعة بينين القومية - جمهورية بنين ١٩٩٢ : ١٩٩٣ .

الكتب:

* الكرز - قصص قصيرة - مختارات فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ .
* الآخر - قصص قصيرة - أصوات أدبية - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٥ .
* النسبية - قصص قصيرة - كتابات جديدة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .
* ترانزيت - رواية - مركز الحضارة العربية ١٩٩٧ .

المقالات:

حوالى ١٥ مقالاً عن العلم والتعليم ،

١ - المحاور الأساسية للتعليم - الأهرام الاقتصادى - أغسطس ١٩٨٦ .

٢ - الحاسوب واللغة العربية - مجلة الكمبيوتر . مارس٨٧

٣ - القضية التعليمية والمعاصرة - صوت العرب - مارس ١٩٨٧ .

٤ - كان أدبه معادلة رياضية (يوسف إدريس)- الشرق - أغسطس١٩٩١.

٥ - العلم والتحديات الثقافية - مجلة البسار . مارس ٩٤ .

٦ - المرأة والإبداع العلمي - مجلة اليسار . مارس ٩١ .

٧ - البعد العلمى للثقافة - مجلة اليسار . نوفمبر ٩١ .

٨ - التعليم والإعلام وعملية القهر الذهنى- مجلة أدب ونقد - فبراير ٩١.

٩ - نظرية المعلومات والتجربة العلمية - نشرة الثقافة العلمية (المجلس الأعلى للثقافة) . ديسمبر ٩٤ .

١٠ - أين نحن من منجزات العصر ؟ - جريدة الأهرام - الصفحة الثقافية - عدد الجمعة - سبتمبر ٨٨ .

١١ - الرياضيات فى التعليم الجامعى ضرورة - جريدة الأهرام - الصفحة الثقافية - عدد الجمعة - يونيه ٩٥ .

١٢ - الإبداع مطلوب والاغتراب مرفوض - الشرق - ديسمبر ١٩٩٢.

١٣ - التعليم التلقينى - مجلة إبداع . عدد فبراير ١٩٩٧ .

١٤ - تحرير العقل لايطلب فلوساً - مجلة اليسار . عدد ديسمبر ١٩٩٣ .

قائمة الإصدارات الأدبية
لمركز الحضارة العربية

العنوان	المؤلف
مطربة الغروب (قصص قصيرة)	جمال الغيطانى
مخلوقات الأشواق الطائرة (قصص قصيرة)	إدوار الخراط
حرب بلاد نعنم (قصص قصيرة)	خيرى عبدالجواد
حكايات الديب رماح (قصص قصيرة)	خيرى عبدالجواد
هذه الليلة الطويلة (مسرحية)	د.أحمد صدقى الدجانى
ليس هناك ما يبهج (قصص قصيرة)	عبده خال
لا أحد (قصص قصيرة)	عبده خال
مملكة القرود (مسرحية)	محمود عبدالحافظ
أحزان رجل لا يعرف البكاء (قصص قصيرة)	خالد غازى
الشاعر والحرامى (قصص قصيرة)	عزت الحريرى
رشفات من قهوتى الساخنة (قصص قصيرة)	محمد محى الدين
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
قصائد حب عراقية	البياتى وآخرون
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
صلاة المودع	صبرى السيد
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطى
إذهب قبل أن أبكى	د. لطيفة صالح
اللعبة الأبدية ...	محمد الفارس
غربة الصبح	محمد الفارس
الغربة والعشق	مجدى رياض
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
العجوز المراوغ يشد أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد
فى مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد

ترانزيت ... ليلى الشربينى

عرفت مبدعة هذه الرواية منذ ربع قرن . عبرت بهدوء حازم عن رغبتها فى إتقان اللغة العربية ، بعد إذ عاشت مع الفرنسية طويلاً ، وظننت - أول الأمر - أن هذه الرغبة أمر طبيعى لمن يريد أن يعمل بالعلم والحياة الثقافية والعمل الوطنى العام ، وقد كان هذا شأنها .. بيد أنى فوجئت بها - بعد أشهر قليلة - تعرض على قصة قصيرة صاغتها بعربية قلقة . ولم يمض عامان إلا وقد استقام أمرها مع اللغة ، فصارت عربيتها مبينة ، وها هنا استقام أمرها مع جماليات هذه اللغة ، من تركيبات وصور ومجازات وتشكيلات، وأفصح كل ذلك عن موهبة فريدة . ولم يمض عقدان إلا وكان بين أيدى الناس ثلاثة كتب من إبداعها ، وها هى (ترانزيت) - كتابها الإبداعى الرابع - يصادق على كلامنا ويشهد له .

د عبد المنعم تليمة

